الفصل الثانى عشر

العلاقة الخاصة الأمريكية الإسرائيلية والسلام فى الشرق الأوسط

من الأسس الرئيسية التى وضعتها الحركة الصهيونية لتحقيق أهدافها إقامة علاقة تحالف وثيقة مع الدول الكبرى.

وقد نجحت من خلال تحالفها مع بريطانيا فى الحصول على وعد بلفور وصك الانتداب البريطانى على فلسطين وعلى دعم سلطة الانتداب لإقامة الوطن القومى اليهودى والتعاون بينها وبين الوكالة اليهودية فى إعداد الأجهزة والقوات التى تحولت فى يسر إلى دولة إسرائيل.

وعندما أدركت الحركة الصهيونية أن الحرب العالمية الثانية قد أدت إلى بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى وتضاؤل مركز بريطانيا، نقلت مركز نشاطها إلى تلك الدولة الأعظم وأنشأت «لوبى» فى غاية النشاط والتأثير على الإدارات الأمريكية المختلفة حتى أصبحت الولايات المتحدة أكثر الدول دعمًا للدولة العبرية سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا؛ وكان لهذه العلاقة الخاصة نتائجها السلبية الخطيرة سواء فيما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى أو بالسلام والأمن فى منطقة الشرق الأوسط، بل بما أدت إليه من أخطار تهدد السلام الدولى.

وباستعراض تطورات العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، يلاحظ أن مواقف الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية قد تآكلت منذ عهد روزفلت الذى وعد الملك عبد العزيز

آل سعود بعدم اتخاذ موقف أمريكى قبل استشارة الدول العربية، ذلك الوعد الذى كرره ترومان ثم أخلفه.

كانت الولايات المتحدة قد أيدت قرار تقسيم فلسطين وإنشاء دولة عربية وأخرى يهودية مع تدويل القدس، وكانت تؤيد تطبيق القرار رقم ١٩٤ بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين وتعويضهم، وكانت تؤيد مبدأ عدم اكتساب الأراضى بالحرب وترى أن تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ يسمح بإجراء تعديلات للحدود الإسرائيلية العربية بشرط أن تكون تعديلات طفيفة ولا تعكس ثقل الغزو، كما كانت تعتبر المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة غير شرعية (وإن كانت أصبحت تعتبرها مجرد عقبة على طريق السلام).

وقد كان من رأى أيزنهاور ضرورة تقديم إسرائيل تنازلات بشأن الحدود واللاجئين، كما أنه وقف بصلابة فى وجه العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وأرغم إسرائيل وبريطانيا وفرنسا على الانسحاب من مصر وقطاع غزة.

وقد تغيرت تلك المواقف الأمريكية تدريجيًا إلى أن أرسل الرئيس بوش إلى شارون كتابه فى ١٤ إبريل ٢٠٠٤ متضمنًا تأييد الولايات المتحدة لتعديل الحدود آخذًا فى الاعتبار المستوطنات الإسرائيلية ولعدم عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى إسرائيل والموافقة على يهودية الدولة العبرية.

ولقد أسهمت العلاقة الخاصة بين الدولة الأعظم وإسرائيل فى استمرار النزاع العربى الإسرائيلى وتعذر التوصل إلى تسوية سلمية. ومن الغريب أن يدعى صناع السياسة الأمريكية أن تزويد إسرائيل بالسلاح لكى تكون أقوى من كل الدول العربية مجتمعة من شأنه طمأنتها ودفعها إلى تقديم التنازلات، وهو منطق أثبت الواقع فساده حيث شجع إسرائيل على المزيد من التصلب والعدوان.

والواقع، أن الولايات المتحدة قد أصبحت - وخاصة منذ حرب ١٩٦٧ - تعتبر إسرائيل رصيدًا إستراتيجيًا لها فى منطقة الشرق الأوسط. ففى مرحلة الحرب الباردة، جعلت منها قاعدة متقدمة للدفاع ضد الاتحاد السوفييتى، ورأت فيها أكثر دول الشرق الأوسط استقرارًا وأوثق حلفائها بين تلك الدول. وقد كاد تدخلها فى حرب ١٩٧٣ لحساب إسرائيل أن يؤدى إلى حدوث مواجهة خطيرة مع الاتحاد السوفييتى، (ومع

ذلك، فقد أثبتت حرب الخليج الأولى أن إسرائيل لا يمكنها القيام بدور لصالح الولايات المتحدة بل إن عليها ألا ترد على صواريخ صدام حسين). وبعد انقضاء مرحلة الحرب الباردة، قدمت إسرائيل نفسها على أنها القوة القادرة على مواجهة ما سمته «الإرهاب الإسلامى»، ونجحت فى خلط الأوراق، وتمكن شارون من إقامة علاقة وثيقة مع بوش مكنته من شن حربه العدوانية على الفلسطينيين بادعاء أن الانتفاضة الفلسطينية جزء من الإرهاب الدولى.

ومن ناحية أخرى، كان من نتائج هذه العلاقة الخاصة أن تبنت إدارة بوش أفكار فريق المحافظين الجدد - الممالئين لإسرائيل - ومن ثم قامت بغزو العراق (الذى كانت إسرائيل تعتبره خطراً شديداً عليها)، ولا تزال إسرائيل تضغط على الولايات المتحدة من أجل توجيه ضربة عسكرية لإيران بسبب برنامجها النووى[1].

* * *

(١) انظر: الفصل الرابع من الباب الرابع من كتاب المؤلف: «استراتيجية إسرائيل الجديدة» بشأن: «إسرائيل والشرق الأوسط فى القرن الأمريكى الجديد» (مرجع سابق).

obeikandl.com